المدرسة البغدادية منهجها واهم اعلامها

تمهيد:

اختلف العلماء المحدثون حول وجود مدرسة بغدادية حقيقة، وانقسموا ف ذلك الى فريقين فمنهم من أثبت وجودها ومنهم من نفى ذلك، وأما من أثبتوا وجودها اختلفوا في ثلاثة أمور حول مفهوم المدرسة، زمن المدرسة أفرادهذه المدرسة واتجاهاتهم.

وقد كان الأستاذ محمد الطنطاوي في كتابه نشأة النحو مثبتا لوجود هذه المدرسة؛ حيث قال انه قد تلاقت مدرستا البصرة والكوفة في بغداد، وأدّى هذا إلى اختلاف في اتجاهات العلماء إلى ثلاثة انحاء اعقبهم المذهب البغدادي الجديد الذي تأسس على المذهبين باعتماد المستحسن والمختار والمنتقى من المذهبين وممن جمع بين المذهبين نجد نجد: ابن قتيبة، ابن كيسان، الأخفش الأصغر، ابن الخياط، الزجاجي[1]

وتبع الطنطاوي في موقفه الدكتور عبد الحميد حسن في كتابه القواعد النحوية، حيث قال:" وقد أتيح للبغداديين بهذا أن ينظروا في المذهبين البصري والكوفي من المذهبين وأضافوا إلى ذلك ما عنّ لهم من آراء خاصة، وكانوا في أول الأمر اكثر ميلا إلى موافقة الكوفيين لمكانة نحاة الكوفة عند الخلفاء... ولكن اتبعوا مذهب البصريين في كثير من المسائل"[2].

---

[1] ينظر ، محمود حسني محمود: المدرسة البغدادية،دار عمار مؤسسة الرسالة، دت، دب ،ص 47

[2] ينظر المرجع نفسه، 48

وذهب الأستاذ شوقي ضيف الى ان المدرسين البصرة والكوفة التقتا واندمجتا في بغداد في نهاية القرن 3هـ وقد اهتم نحاتها بالانتخاب بين المدرستين، فظهر اتجاه جديد يقوده جيل من النحاة الجدد تتلمذوا على يد كلّ من المبرد وثعلب[1].

ويرى مهدي المخزومي ان المدرسة البغدادية ظهرت في الوقت الذي اشتد فيه الصراع بين المبرد وثعلب، وقال ان هناك طبقة من من الدارسين أخذت عن شيوخ المدرستين فعرفوا المنهجين، واستفادوا من الفئتين، ثم رأى ان المذهب البغدادي ليس غلا منهجا انتخابيا يحمل خصائص المدرستين[2].

ومن المثبتين كذلك سعيد الأفغاني فقد اثبت وجود المدرسة البغدادية بقوله:" كانت بغداد حاضرة الخلافة العباسية وهي السوق التي كان يروج فيها العلم والادب فكان يرتحل إليها العلماء من الأقطار كافة، حيث نشر الكوفيون فيها نحوهم وقصدها نحاة البصرة أيضا ونشأت طبقة جديدة في بغداد اختارت من المذهبين وكوّنت ما عرف بالمذهب البغدادي"[43].

أما من نفى وجود المدرسة نذكر فمنهم الدكتور عبد الفتاح شلبي، الدكتور فاضل السامرائي الذي نفى قيام مدرسة إلا لاعتبارات مستقلة وأراء دقيقة واحدة محددة، وإلا كان المذهب إما بصري أو كوفي، والمكان وحده غير كاف، لأن يسمى مدرسة ولا القائمون عليها يصح أن نسميهم باسمها،، فالمبرد هو من البصريين وثعلب من الكوفيين وقد سكنا بغداد.[5]

---

[1] ينظرشوقي ضيف، المدارس النحوية ، ص245

[22] ينظر ، مهدي المخزومي/ مدرسة الكوفة ،ص 70

[3]

[4] ينظرمحمود حسني محمود، المدرسة البغدادية، ص 50

[5] ينظر المرجع نفسه، ص 52

1- بداية الصراع بين المدرستين على بغداد:

انتقل الكسائي من الكوفة الى بغداد وعاش في قصر هارون لتأديب الأمين المأمون، فكانت له مكانة وحظوة لدى هارون الرشيد، والنجاح الذي لاقاه الكسائي شجع اصحابه للقدوم إلى بغداد، وصاروا من جلساء الملوك، ولما مرض الكسائي، قرر هارون الرشيد استدعاء سيبويه للقدوم إلى بغداد، فخاف الكسائي من هذا الأمر لأنه يعلم من هو سيبويه[1]، وحين تأكد الكسائي من الخبر دبّر لسبويه مكيدة تمثلت في مناظرة صارت تسمة ب المسألة الزنبورية التي خطأ فيها سيبيوه مرات عديدة ، وقد دفعت هذه الحادثة علماء البصرة للقدوم إلى بغداد للانتقام لسبيوه، فكان اول من قدم لهذه الغاية اليزيدي، ثم جاء بعده الأخفش سعيد بن مسعدة (ت 215هـ)الذي عزم هو الآخر ان يثأر لسيبويه، ، وكان الاخفش أول من وضع اللبنة ال,لى للمدرسة البغدادية حيث عل على:

-إقراء كتاب سيبويه للكوفيين،تاليف الكتب لهم

-الوقوف الموقف الوسط بين أصول البصرة وأصول الكوفة في السماع والقياس، والتعليل[2]

2- المبرد يستدعى إلى بغداد:

دعا الخليفة المتوكل المبرد إلى سامراء ولما قدم الخليفة اوكلت له مهمة التدريس في جامع بغداد وكان ثعلب يتربص بالبصريين فأرسل تلاميذه إلى المبرد، وكان من بينهم الزجاج، وابن لحائك لمناقشته وذهب معهما جمع من الكوفيين سأله الزجاج اتأذن فقال المبرد سل عما أحببت، فساله عن مسألة فأجاب فيها بجواب فأقنعه، فنظر الزجاج في وجوه أصحابه وكان في كل مرة يسأله فيجيبهفيقنعه فقال ابراهيم ابن السري عودوا إلى الشيخ فلست مفارقا هذا الرجل ولابد لي من ملازمته[3]

---

[1] محمود حسني محمود المدرسة البغدادية، ص 63.
[2] ينظر المرجع نفسه، ص100
[3] ينظر المرجع نفسه ، ص 100

2- خصائص المدرسة البغدادية:

السماع: لم يميز البغداديون بين اللغات ولم يفضلوا لغة عن اخرى، كما فعل البصريون بل كانوا مثل الكوفيين يحتجون باللغة التي توفرت فيها الفصاحة دون اشتراط المكان وهذا ما ذهب إليه ابن جنى في كتابه الخصائص في باب اختلاف اللغات وكلها حجة كذلك الزجاجي أيضا كا يبيح الاخذ من لغات العرب مهما تنوعت وكان يحترمها وغن خالفت قياس البصريين وهاهو الزمخشري كذلك كان ياخذ عن العرب الذين سكنوا الحاضرة فكان يرى جواز الاحتجاج بكلام أئمة اللغة وكبار روادها فقد سوّى بين ما يقولونه بما يروونه، وقد اخذ ابن جني اللغة من بني عقيل الذين سكنوا العراق وهو مخالف للبصريين في هذا.[1]

- **القياس**: وقف البغداديون موقفا وسطا في القياس خاصة على الشاذ المنفرد، فكما هو معروف لا تقيس البصرة إلا عل المطرد العام أما الكوفيون فقد أجازوا القياس على المنفرد الشاذ ويجعلونه أصلا من الاصول ويقيسونه عليها، وقد اخذ عنهم هذا النحاة البغداديون الجدد الجدد حيث نظروا في هذا الشاذ المنفرد فإذا كان يقبل القياس عليه بإيجاد تخريج له وإن لم يقبل ينظرون فيه وهذا ما ذهب إليه ابن جني حيث وضح مبدأ المدرسة البغدادية في هذه المسالة فقد أفرد حديثا في هذا المسموع حيث سماه(المسموع الفرد هل يقبل ويحتج به؟ وله احوال)[2] وهذا المسموع الفرد الشاذ عند البغدادين 3 أصناف:

*مثال لا نظير له في الالفاظ المسموعة ولكن العرب تنطق به وهذا المثال تقبله وتحتج به وتقيس عليه[3]

---

[1] محمود حسني محمود، المدرسة البغدادية، ص129.

[2] المرجع نفسه ، 132

[3] المرجع نفسه، ص133.

*مثال لا يتكلم به إلا فرد واحد من العرب مخالف الجمهور غير مخالف القياس وهذا المثال يحسن الظن به وناخذه اما إذا خالف القياس رددته ولم تقبل به

* مثال لا يتكلم به فرد واحد من العرب لم يسمع من غيره ما يخالفه او يوافقه، وهذا المثال إذا كان الناطق غير فصيح وغير موثوق به نرفضه ولا نقيس عليه.

- **القراءات الشاذة:**

قبل النحاة البغداديون جميع القراءات لما في ذلك الشاذة منها، فلا اجود من لغة القرن يقول الزجاج" القرآن الكريم محكم لا لحن فيه ولم يتكلم العرب بأجود منه في الإعراب، وابن جني كان يرى ان الشاذ قد يتساوى في الفصاحة مع المجمع عليه خاصة إذا كان مدعوما برواية تثبت صحته.

- **الحديث النبوي الشريف**: يعد الحديث النبوي الشرف مصدرا أساسيا من مصادر السماع التي احتج بها البغداديون واحتجوا به في مواطن عديدة، فالزجاجي احتج بها أبوعلي الفارسي ،و ابن جني و الزمخشري.[1]
- **الانتخاب من المذهبين**: وجد البغداديون علما غزيرا وافرا خلفه نحاة البصرة والكوفة وما كان امامهم سوى غربلة هذا العلم والانتقاء والاختيار ما صلح منه وكان منطقيا مقنعا فاخذوا بتعليله ودعمه بالادلة والبراهين[2]

[1] المدرسة البغدادية، ص142،141،140.
[2] المرجع نفسه، ص 147.

المدرسة الأندلسية منهجها واهم اعلامها

تمهيد:

لم يمض زمن بعد فتح الاندلس حتى بدا العلماء في جمع العلوم الفقهية والدراسات اللغوية المرتبطة بالقرآن الكريم وعلومه، ونذكر من هؤلاء العلماء أبو موسى الهواري الذي كان أهل قرطبة يبجلونه في الفتاوى على عيسى (ت212هـ) بن دينار الغافقي وابن الضائع (ت213هـ) ويعدّ جودي بن عثمان المروري ت(198هـ) أول نحوي في الاندلس رحل إلى المشرق العربي ونقل العلم عن الكسائي وتلميذه الفرّاء، وهو اول نحوي قام بإدخال كتب الكوفيين إلى الأندلس، وكان يدرس بهم طلابه.

وهكذا كانت عناية الأندلسيين بالنحوالكوفي بادية للعيان ويبدو ان النحو البصري قد تأخرت العناية به إلى ان جاء الأفُشْنيق محمد بن موسى بن هشام (ت307هـ) ورحل إلى المشرق والتقى بأبي جعفر الدينوري الذي أهداه كتاب سيبويه ليقرئه لطلابه في قرطبة[1]،بعده يفتح محمد بن بحى المهلبي الرّبّاحي الجيّاني(ت353هـ) باب الاهتمام بالنحو البصري وبكتاب سيبويه الذي اهداه إليه أبو جعفر النحاس بمصر وراح يدرسه لطلبته بقرطبة، يقول فيه الزبيدي:" لم يكن عند مؤدبي العربية ولاعند غيرهم ممن عنى بالنحو كبير علم بالعربية حتى ورد محمد بن يحبى عليهم وذلك أن المؤدبين إنما كانوا يعانون إقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها وتقريب المعاني لهم في ذلك، ولم يأخذوا انفسهم بعلم دقائق العربية وغوامضها والاعتلال بمسائلها، ثم كانوا لا ينظرون في إمالة ولا غدغام ولا تصريف ولا أبنية، ولا يجيبون في شيئ منها ،حتى نهج لهم سبيل النظر واعلمهم بما عليه اهل هذا الشان في المشرق من استقصاء الفن بوجهه واستيفائه على حدوده وإنهم بذلك استحقوا الرياسة"، وممن عاصره أبو علي القالي البغدادي الذي سكن الأندلس وقاد

[1] ينظر شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص289

فيها نهضة لغوية ونحوية خصبة، فقد حمل معه كتبا في اللغة والشعر والنحو، وكان من بينهما كتاب سيبويه الذي أخذخ من عند ابن درستويه الذي أخذه عن المبرد[1]

وظهر بعد الجيّاني والقالي تلاميذ القالي ابن القوطيّة وكان إماما بالعربيةإلى جانبه محمد بن الحسن الزبيدي صاحب كتاب طباقات النحويين واللغويين، وأحمد بن أبان، هارون بن موسى القرطبي، ابن مضاء القرطبي، أبوحيان الاندلسي[2].

1- تأثر النحو بالمذاهب الفقهية:

كان نحاة الأندلس أكثر العلماء تأثرا بالفقه وعلومه نظرا لارتباط العلوم الإسلامية بعلوم العربية والناظري في كتب التراجم سيكشف هذا الامر جليّا، فمثلا أبو موسى الهواري هو أول من جمع بين علم العربية والفقهوهو احد كبار علماء النحو في الاندلس، وهناك احمد بن الأعوج الذي طلب النحو ليستعين به على فهم الفقه والحديث، ومنهم من كان مالكي المذهب ونحويا مثل أبي صالح المعارفي، اما المذهب الظاهري الذي يدعو إلى الأخذ بظاهر النص دون الحاجة إلى التأويل، ورائد هذا المذهب هو ابن حزم الأندلسي، ويدعو العلماء لتعلم النحو، لتعلم القرآن، وفهم الحديث، لكن هذا النحو الذي يدعو إليه لابد ان يكون مناسبا لمذهبه الفقهي الظاهري الرافض للقياس، والتعليل، والتأويل والجدل والاجتهاد وقد تأثر ابن مضاء القرطبي بمنهجه الظاهري[3].

وقد دعا إلى ترك العوامل والثورة على القياس وإلغائه، وحذف بعض أبواب النحو كالتقدير والتأويل.

---

[1] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص290

[2] ينظر خديجة الحديثي، مدارس نحوية ص314.

[3] ينظر، فادي صقر احمد عصيدة جهود نحاة الاندلس في تيسير النحو العرب ص15،16،17

2- مظاهر تيسير النحو في الأندلس[1]:

- إعادة تنظيم أبواب النحو وترتيبها
- انتشار المختصرات وكتب الإيجاز
- شرح المؤلفات النحوية (الشروحات)
- انتشار الشعر التعليمي
- الثورة على العوامل النحوية والعلل
- إلغاء بعض أبواب النحو(باب التنازع) باب تقدير المحذوفات
- الابتعاد عن التأويل

- 3 دوافع تيسير النحو:

-اختلاف الأجناس في الأندلس فهناك العرب الفاتحون والامازيغ، والأعاجم

- البعد الجغرافي بين المشرق والأندلس

- قلة تواجد العلماء المتخصصين في النحو

- دعوة العلماء إلى ضرورة تيسير النحو

4-عوامل تطوّر النحو في الأندلس[2]:

-الرحلات العلمية(خاصة في القرن 3ه فقد شهد تطورا في ميدان رحلات العلماء الأندلسيين إلى المشرق

- الهجرة إلى الأندلس كانت الأندلس مقصدا لبعض العلماء المشارقة مثل أبو جعفر البغدادي/أبو علي القالي البغدادي

---

[1] ينظر،المرجع نفسه، ص20.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص26

-دور الحكام والملوك: مثل المظفر بن الأفطس، صاحب بطليوس، وولده الكتوكل أبو جيش مجاهد العامري،، المعتمد بن عباد فقد شجعوا العلم لأنهم كانوا علماء يرغبون في تحسين مستواهم.

-المناظرات النحوية: لأن المناظر عليه أن يكون مطلعا على كتب كثيرة في اللغة والنحو، وكانت تتم بين العلماء الكبار،